Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألـم يكن فيهـم من لم يـ في هذا البيت ما يقتضي الثنـاء ؟ ولا بد من التساؤ ل عن مدلول كلمة « اتفـ ا » أهي تعني ذوقاً عاماً في أمر الشعر ؟ وإذا كان الأمر أمر ذوق عام فما هي طبيعـ ـذا الذوق ؟ وما هي حدوده ؟ ومـا هو معياره ؟ أغلب الظن أن هنالك تعمياً يجانب الدقة في هذه الأقوال ، وأن هنالك ضرباً من «الحياء النقدي» الذي يعصم المرء من مخالفة الذوق السائد، حتى إذا ما استجاد عالم ما أو أديب ما بيتاً من أبيات الجاهلية ـ غالباً ـ سلم الناس بذلك دون تمحيص ، وسارت أفواه الناس به ، واكتسب على مرّ الأيام رهبة خاصة لا يجرؤ أحد على المس بها ، ثم يبدو الأمر شيئاً فشيئاً ، وكأنه لا يحتمل المناقشة ، على الرغم من أن كثيراً ممـا سلـم به من يوصف بالنقـد يحتمـل المناقشـة ، بل النقض ، لأنـه أمـر ذوقـي لا جرم أنـه يتغير بتغير الأزمـان ، والبلـدان ، والأجناس ، فإذا تذكرنا أن أكثر الأبيات التي عُـدّت نمـاذج عليا ، إنمـا هي جاهلية ، وأنها عُـدَّت كذلك لأنها جاهلية ، أدركنا أن جمود النقد على أذواق بعض الأدباء الذين تصدوا للنقد ، كان يعني ـ ببساطة ـ جمود الذوق على العرف الفني الجاهلي .

وإذا حاولنا أن نلتمس بعض الروايات التي شارفت التعليل ، وجدنا مثلاً أن الأحنف بن قيس جعل زهيراً أشعر الناس بقوله :

فما يك من خـير أتـوه فإنمـا توارثـه آبـاء آبائهـم قبـل

لأنه ألقى عن المادحين فضول الكلام ، فإذا تأملنا في بيت زهير وجدناه نابعاً من العرف الجاهلي الذي يجعل النسـب قانـون الحياة ، وليس فيه إلا أن هؤلاء ورثوا الخير كابراً عن كابر ، فليس لهم فضل فيه ، وهذا يجعل الخير بديهياً لا يقتضي عناء أو فصلاً ، ويبدو أن الذي أعجب الأحنف أن زهيراً لم يتعب نفسه في البحث عن مديح نحت كلمة الخير من محامـد ، أو مكارم ، وإنمـا احتصر الخير كله في المال الخير ، وجعلها أمراً لا يشير إلى نسب كريم ، فالمفهوم